الزمان القريب من الحال بقرينة المقام والمعنى كيف نكلم من كان قبل هذا الوقت في المهد غرضهم
من هذا الكلام بيان استمرار حال الصبي فيه لم يبرح عنه بعد ولو قيل من في المهد لخلا الكلام
عن الدلالة على كونه صبيا سابقا واستمرار حال الصبي فيه الى الان يفهم من كلام السابق كالشاهد
لما في الحال قوله او بمعنى صار اي ولما لم يكن الصبي منقطعا في الاية وجب الحكم بكونها زائدة
او دائمة او بكونها بمعنى صار وقيل المراد بالمهد حجر امه لما روي انها لفته في خرقة فاتت به قومها
فلما راوها قالوا ما قالوا لان المهد يطلق على المقر مطلقا كما في قوله تعالى وجعل لكم الارض مهدا
وقيل المراد مهد الصبي لان المراد بكونه في المهد بيان شانه ومن حقه ان يوضع في المهد
وينام فيه وان لم يكن في المهد في الحال فان قيل كيف عرفت مريم من حال عيسى انه يتكلم حتى
صح لها ان يشير اليه ويقول لاهله كلموه ليجيب ان عيسى ع م ناداها من تحتها حين وضعته
ان لا تحزني وامرها بالسكوت عند رؤية الناس فصار ذلك كالبينة لها على ان المجيب
هو عيسى ع م ولعلها عرفت ذلك بان اوحي اليها على سبيل الكرامة لها قيل انها
لما اشارت اليه وقالت لهم كلموه ليجيبكم غضبوا وقالوا سخريتها بنا اشد علينا
من زناها روي انه ع م كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه
وقال اني عبد الله الى اخر كلامه ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان انطقه
الله تعالى اولا بانه عبد الله لان الاقرار بعبوديته اول المقامات في الاسلام
والرد على النصارى الزاعمين الهيته وكونه ابن الله فان النسطورية منهم يزعمون انه ابن الله
واليعقوبية انه الله واما الملكانية فيقولون انه عبد الله وعبد كانه تعالى جعل ازالة
التهمة عن ذاته المقدس اولى من ازالة التهمة عن مريم فلذلك انطقه الله اول ما تكلم بقوله
اني عبد الله والمبارك من افاض عليه البركة وهي النماء والزيادة يقال بارك الله
فيك ولك وعليك جعله الله مباركا حيث جعله نفاعا للخير ينتفع اصحاب الافات
بدعائه فانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص وكان يعلم الناس دينهم ويدعوهم
الى طريق مستقيم ومن ضل فانما يضل من قبل نفسه والتعبير بلفظ في قوله وجعلني
نبيا وجعلني مباركا واوصاني بالصلوة والزكوة اما باعتبار سبق ذلك في علمه تعالى
وقضائه الازلي لان الظاهر ان الله تعالى ستنبئه حين انفصاله من امه ولم ينبئه ولم يعطه الكتاب
ولم يامره باداء الصلوة والزكوة حينئذ بل فعل ذلك بعد بلوغه حد التكليف وحصول شرائط
الوجوب والاداء وقيل اكمل الله تعالى عقله واستنباه طفلا اخذا بظاهر الاية فانه لا بعد
لان يجعله الله كما انفصل عن امه قوي التركيب كامل العقل بحيث يمكنه اداء الصلوة والزكوة

الزكوة اي زكوة المال ان ملكه وطهارة النفس عن الرذائل وسننه ويؤتيه
الكتاب وساير ما قص به من الفضائل بل هو الا وقوع لقوله ما دمت حيا فانه يدل
على ان هذا التكليف متوجه اليه في جميع زمان حيوته والاية تدل ايضا على ان تكليفه
لم يتغير حين كان في الارض وحين رفع الى السماء وحين نزل الى الارض مرة اخرى
والتعريف للعهد والمعهود هو السلام المذكور في قصة يحيى ع م وهو قوله تعالى
وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا فالمعنى والسلام الموجه
اليه في المواطن الثلثة موجه الي ايضا لكن كون السلام المعين الذي توجه الى يحيى عليه السلام
يستحيل ان يتوجه الى شخص اخر وغاية الامر ان يوجه الله مثله وهو غير معهود
بل ليس ذلك السلام الموجه الى يحيى ايضا معهودا بين عيسى وقومه اذ لم يجب بينهم
ومن حق المشار اليه بلام العهد ان يكون معهودا بين المتكلم والمخاطب فكان حمل اللام
على العهد خلاف الظاهر والاظهر انه للجنس والتعريض باللعنة على من اتهم مريم بالزنا
روي ان عيسى قال ليحيى ع م انت خير مني سلم الله عليك وسلمت على نفسي
واجاب الحسن عنه بان قاله ان يسلمه على نفسه في حكم تسليم الله عليه لانه انما فعل ذلك
باذن الله تعالى قوله اي الذي تقدم نعته الحقيقي ان ذلك مبتداء اشير به الى
اقر على نفسه بعبوديته لله تعالى وان الله تعالى استنباه وايده بان اتاه كتابا منزلا من السماء
وبساير النعوت المدلولة وقوله عيسى بن مريم خبر ذلك اشير اليه بلفظ ذلك تمييزه
اكمل التمييز بما ذكر من الصفات الجليلة بحيث صار ذلك الاتصاف يجعله كالمشاهد المحسوس
كانه قيل ذلك المنعوت بالنعوت العظيمة هو عيسى بن مريم لا ان تصفه النصارى
واليهود وفيه تكذيب للفريقين فيما يصفونه به على الوجه الابلغ والطريق البرهاني
اما تكذيب اليهود فلان اخباره تعالى عن حاله بانه موهوب من عند مرجو ومبدع
الله تعالى بتوسط روح القدس مبدع بكلمة كن وبالاعجاز باخضرار الجذع اليابس و
اثماره وحدوث الحدود والتكلم في عهد الطفولية وتبرئته امه مما قذفوها به و
اخباره عن حاله بالنبوة وما يتبعها وكونه مسلما عليه من عند الله وانما تكذيب النصارى
فلاخباره عن نفسه بانه عبد الله وكونه مسلما برا بوالدته مكلفا بالطاعة مدة حيوته
مختصا بالكتاب والنبوة كساير الانبياء يموت ويبعث كساير العباد وانما سمي كلمة الله وقول
الحق لانه انما وجد بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب
فان قوله الحق خبر مبتداء محذوف اي هو قول الحق والضمير لعيسى عليه السلام او كلمة الله سوله كن

Copyright © King Saud University